أعمال السلطان الأشرف برسباي بالمسجد الحرام فى ضوء نقش مؤرخ بسنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م محفوظ بالكعبة المشرفة "دراسة أثرية حضارية"

♦د.عدنان محمد بن فايز الحارثي الشريف

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على جهود السلطان الأشرف برسباي فى تعمير المسجد الحرام، فى ضوء نقش مؤرخ بسنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م محفوظ بالكعبة المشرفة، وكذلك رعايته لمدينة مكة المكرمة، إذ يعتبر برسباي من أكثر سلاطين الدولة المملوكية الذين اهتموا بمدينة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة بها. وسوف نتتبع هذه الجهود من خلال المصادر التاريخية المعاصرة، مع التركيز على تلك الأعمال فى الحقبة المعاصرة لتاريخ التعمير الضخم الذي يؤرخ له النقش، موضوع الدراسة.
كما تهدف هذه الدراسة إلى دراسة أسلوب الخط والكتابة الذي كان متبعاً فى كتابة النقوش التذكارية والتسجيلية بمكة خلال العصر المملوكي الجركسي. إضافة إلى التعرف على الأسلوب الفني لنقش برسباي، وما يضمه من ألقاب ومضامين دينية وسياسية، وعلاقتها بالسياق العام المعاصر لتاريخ النقش، سواء داخل مكة المكرمة، وكذلك علاقة سلاطين الدولة المملوكية بالحجاز.
وقد تناول الباحث هذا الموضوع من خلال أربعة محاور رئيسة: المحور الأول يتناول نبذه عن السلطان الأشرف برسباي. المحور الثاني يتناول استعراض ملامح اهتمام السلطان برسباي بعمارة وشؤون الحرمين الشريفين، من خلال المصادر التاريخية المعاصرة. ويتناول المحور الثالث الخلفية التاريخية لنقش السلطان الأشرف برسباي المؤرخ بسنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م. أما المحور الرابع فيتناول الدراسة التحليلية للنقش، وما يضمه من ألقاب، وتحليل للحروف، وطريقة تنفيذها.

أولاً- السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م):

السلطان برسباي، هو الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري الجر كسي ، أحد أبرز سلاطين دوله المماليك الجراكسة تولي الحكم في الثامن من ربيع الآخر عام ٨٢٥هـ-الأول من ابريل عام ١٤٢٢م، وهو ثامن الملوك الجراكسة، والثاني والثلاثون من ملوك الترك بمصر[١]، حكم برسباي لمده سته عشرة سنة وثمانية

♦ أستاذ الحضارة الإسلامية المشارك بجامعة أم القرى.

[١]- ابن إياس (أبي بكر محمد بن أحمد، ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ط٤، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، جـ٢، صـ٨١؛ محمد عبد الستار عثمان، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي بالقاهرة، ماجستير، كليه الآثار، جامعه القاهرة، صـ٥

المنارة للاستشارات
www.

أشهر وخمسة أيام. واسم برسباي يتكون من مقطعين بمعني الرجل أو السيد الرجل، وفي الوقت نفسه يعني الفهد إذ اتخذ هذا السلطان رنك الفهد شعاراً له.

ولد برسباي في أسره فقيرة، وعمل في صباه حداداً وكان برسباي مملوكا للأمير "دقماق المحمدي" نائب ملطية، الذي اشتراه من أحد تجار الرقيق، ومكث في خدمته زمنا. ولقب بالدقماق نسبة إليه؛ فأصبح يعرف ببرسباي الدقماقي، إلي أن اشتراه أحد التجار وجلبه الي مصر، فاشتراه السلطان الظاهر برقوق، وأنزله في جملة مماليكه بالطباق بالقلعة. ولما أظهره من شجاعة[٢]، قام السلطان الظاهر برقوق بإنزاله من الطباق وبعتقه. واستمر برسباي في خدمه السلطان الظاهر برقوق، وعرف بالظاهري، نسبة إليه، ثم في خدمه الناصر فرج[٣]، فتقلد في عهده وظيفة الساقي[٤]. ثم صار مع الأمير المؤيد شيخ[٥] بعد مقتل السلطان الناصر فرج، الذي كان قد أنعم عليه بوظيفة أمير مائة[٦]، ومقدم ألف[٧] بالديار

٢-هو الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن أنس السلطان الخامس والعشرون من ملوك الترك بمصر، والثاني من ملوك الجراكسه تولي السلطنه يوم الاربعاء ١٩ رمضان ٧٨٤ هـ، وتوفي في يوم الخميس ١٥ شوال سنه ٨٠١ هـ. للاستزادة راجع: ابن تغري بردي (جمال الدين ابي المحاسن يوسف، ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت، جـ١٧، صـ٢٩٤-٣٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، صـ٣٥٠، صـ٣٧٦-٣٧٧؛ السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار مكتبة الحياة، جـ٣، صـ١٠.

٣-هو الملك الناصر زين الدين ابو السعادات فرج بن السلطان الظاهر برقوق ابو سعيد بن انس جركسي الجنس مصري المولد والمنشأ، وهو السلطان السادس والعشرين من ملوك الترك بمصر والثالث من ملوك الجراكسه تولي السلطنه عام ٨٠١ هـ وتوفي سنه ٨١٥ هـ .

للاستزادة عن حياته السياسية والعمرانية أنظر: بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٣، صـ٣-٢٠ ، ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، صـ صـ٥٣٦-٥٥٠. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م، جـ٣ ، جـ٤ .

٤-الساقي: هي وظيفة شاع ظهورها علي الآثار العربية، وقد عرفت في الدول التركيه منذ حكمها في إيران، وعرفت هذه الوظيفة أيام المماليك ونظمت اختصاصاتها، وكانت الساقي في عصر المماليك يتولي مد السماط، وتقطيع اللحم وسقي المشروب بعد رفع السماط، وكان ساقي السلطان يسمي "ساقي الخاص الشريف" وكانت هذه الوظيفه يرمز لصاحبها بشعار الكأس .

وللاستزادة عن هذا اللقب ومن تلقب به أنظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية، دار النهضة العربية، جـ٢، صـ٥٧٦-٥٨٦ .

٥- ولد في ٧٠هـ، وهو من مماليك الأمير برقوق عندما كان اتابكياً، وتولي السلطنة في ٨ شعبان ٨١٥هـ وتلقب بالسلطان المؤيد شيخ المحمودي، وتوفي فى التاسع من المحرم سنه ٨٢٤هـ.

وحكم ثمان سنوات ونصف تقريبا. راجع علي سبيل المثال: السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، صـ٣٠٨-٣٢٠.

٦-أميرمائه: هى المرتبة الأولي من مراتب الأمراء في عصر المماليك، وعرفت في البداية عند التركمان وأنتقل اللقب إلى السلاجقة والاتابكة ثم إلي الدولة الأيوبية، واسند لصاحب هذه الوظيفة آنذاك قياده مائه فارس وتجهيزهم، ومن طبقه الأمراء المائة تألف الجيش الأيوبي، وقد أنتقل هذا النظام الي الدوله المملوكيه وكان هذا اللقب يتلقب به اصحاب المناصب العالية في الجيش المملوكي، وزيد إلى

المنارة للاستشارات
www.

المصرية، كما ولاه وظيفة كاشف الجسور[٨] بأعمال الغربية. ثم ولاه نيابة طرابلس في عام ٨٢١ هـ/١٢١٨م، ثم عزل عنها وسجن بالمرقب، إلى أن أطلق سراحه السلطان المؤيد شيخ وأنعم عليه وجعله من أمراء دمشق، وأمير مائة ومقدم ألف. وعندما توفي السلطان المؤيد عُزل برسباي، وسجن بقلعة دمشق، لكونه كان قريباً من الأمير ططر. ولما ثار الأمير الطنبغا القرمشي على جقمق نائب الشام وهزمه، أُفرج عن الأمير برسباي الذي عاد إلى القاهرة في صحبة الأمير ططر الذي أصبح سلطاناً، فعينه (دوادار كبير)[٩]. وبوفاة السلطان ططر[١٠] بويع ابنه الصالح محمد وكان صغير السن، مما مكن برسباي من الإمساك بمقاليد الأمور، فخلع الصالح محمداً وتولى السلطنة ودانت له البلاد وأهلها.

السلطان برسباي كان ذا همة عالية ويرغب فى زيادة نفوذ بلاده، وافتتحت في أيامه بلاد كثيرة منها قبرص[١١]، التي أسر ملكها. وأثني بعض المؤرخين على السلطان

لقبه مقدم علي ألف أو مقدم ألف، وكان إقطاع أمير المائه يبلغ في المتوسط مائه ألف دينار جيشيه وربما زاد أو نقص حسب منزلته ونفوذه وفرسانه، وكان يسند إلي أمراء المائة إلى جانب الوظيفة الحربية وظائف مدنيه مثل النائب الكافل والاتابك وامير مجلس وامبرطور ونائب الإسكندرية وغيرها. وكان منهم من يقود مائتين من الفرسان فيعرف بأمير المائتين وكانت له مميزات واختصاصات. للاستزادة: راجع: الباشا، الفنون الإسلامية، جـ١، صـ٢٤٩-٢٥٩. وكان منهم من يقود مائتين من الفرسان فيعرف بأمير المائتين وكانت له مميزات واختصاصات . للاستزادة: راجع: الباشا، الفنون الإسلامية، جـ١، صـ٢٤٩-٢٥٩ .

٧-مقدم ألف: الذي يلتزم ويتميز عن غيره من الأمراء المائة، ويتقدم في رتبه الألف منهم. راجع: الباشا، الفنون الإسلامية، جـ١، صـ٢٥٣-٢٥٥ .

٨-كاشف الجسور: هو أحد المفتشين أو الكشاف في عصر المماليك، وكانت مهمته كشف الجسور والتفتيش عليها في اقليم معين لتحصير البلاد وقبض الغلال، وكان من كشاف الجسور ما يوجه لإقليم معين، وكانوا يختارون من بين أمراء الطبلخانه والعشرات. الباشا، الفنون الإسلامية، جـ٢، صـ٩٣٢-٩٣٣ .

٩-الدوادار: هو لقب يتكون من مقطعين (دواه) العربيه وهي ما يكتب منه، (درا) الفارسية بمعني ممسك وتعني الكلمة ممسك أو الموكل بالدواة وتعني ممسك أو الموكل بدواة السلطان أو الأمير، وقد عرفت هذه الوظيفه منذ العباسيين وأطلق علي صاحبها في عصر الغزنويين والسلاجقة اسم (الدواتدار)، وانتقلت هذه الوظيفة عن طريق السلاجقة والاتابكة والأيوبيين إلى دوله المماليك، حيث عرف صاحبها باسم (دوادار) إذ حذت التاء في (دوتدار) استتقالا فصارت (دوادار). وكانت هذه الوظيفه من الوظائف التي يشغلها عسكريون ويختار من بين اهل عصبيه السلطان حيث يعتبر من الثقاة اللذين يسند إليهم الكثير من الأعمال الهامة: الباشا، الفنون الإسلامية، جـ٢، صـ٥١٩-٥٢٩ .

١٠-النجم عمر بن فهد (٨١٢هـ-٨٨٥هـ)، إتحاف الوري بأخبار أم القري، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، دار المدني، جدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، جـ٣، صـ٥٨٦ .

[١١]-عن فتح قبرص أنظر: ذكر المقريزي في حوادث شهر شعبان في عام ٨٢٥هـ بأن الفرنجه هاجموا الاسكندريه في الليل وحرقوا وسلبوا الأموال واسروا النساء، وقد تكررت حوادث الاعتداء علي

المنارة للاستشارات
www.

برسباي بأنه كان رجلاً متديناً، يصوم أول يوم من كل شهر عربي والثلاثة الأيام القمرية، محباً لتلاوة القرآن الكريم. وأصدر مرسوماً بترك تقبيل الأرض أمامه تعظيماً لله تعالى[١٢].

ونجح السلطان برسباي في الحقبة التي قضاها في الحكم -وهي نحو سبعة عشر عاما- في إشاعة الأمن والاستقرار، والقضاء على الثورات والفتن، التي شبت في البلاد، والضرب على أيدي الخارجين على النظام، كما فعل مع ثورة المماليك الأجلاب، وكانوا قد عاثوا في الأرض فسادًا لتأخر رواتبهم في عامي ٨٣٥هـ-٨٣٨هـ/١٤٣١-١٤٣٤م.

أما عن صفاته الخَلقية فإنه كان أشقر اللون، طويلاً، رشيقاً، بهي الشكل، ذا سكينة ووقار ومهابة، حسن الخلق. وكان مهتماً بالتجارة ويعمل علي تنميتها[١٣].

توفي السلطان برسباي في رابع ذي القعدة سنة إحدي وأربعين وثمانمائه[١٤]. المقريزي قال عن ذكر خبر وفاته "وقد أناف علي الستين وكانت أيامه هدوءاً وسكوناً إلا أنه كان له في الشح والبخل والطمع مع الجبن وسوء الظن"[١٥]. ولبرسباي الكثير من المآثر المعمارية التي أفاضت بها المصادر التاريخية المعاصرة له، إذ يعد السلطان برسباي من أبرز سلاطين عصر المماليك الجراكسة الذين اهتموا بأعمال البناء والتشييد وبخاصة العمائر الدينية في كل من مصر والحجاز.

ثانياً- اهتمام السلطان برسباي بعمارة وشؤون الحرمين الشريفين:-

السلطان برسباي يعتبر من أكثر سلاطين المماليك الجراكسة اهتماما بعمارة الحرمين الشريفين، وذلك من خلال أعمال الترميم والتجديد التي أولاها للمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف. وقد حفظت لنا بعض النقوش الآثريه بعضاً من هذه الأعمال والتي منها هذا النقش، موضوع الدراسة، والكائن بداخل الكعبة والمؤرخ في عام ٨٢٦هـ/١٤٢٣م، والذي يسجل أعمال التجديد في رخام أرضية وحوائط الكعبة المشرفة. ودلالة هذا التاريخ توضح أن السلطان برسباي الذي تولي السلطنة في شهر ربيع الآخر عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م،قد جعل علي رأس أولوياته النظر فى رعاية الحرمين الشريفين. وقد ساعده علي ذلك حالة الاستقرار والهدوء التي نعمت بها البلاد في عهده، وهو ما جعله لا يقف عند حد البناء والتعمير فحسب، بل قام برعاية كاملة للمنشآت الدينيه السابقة لعهده، فأنشأ لها مجلساً من القضاة ليرعى شؤونها ويحفظ أوقافها، ويعمل على

الإسكندرية من قبل، مما حفز السلطان برسباي الي اعاده تحصين المدينه وبناء الاسطول الذي جهزه لفتح جزيرة قبرص. للاستزادة أنظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٤، صـ ٦١٧، ٦١٩، ٦٨٨,

[١٢]- المقريزي، السلوك لمعرفه دول الملوك، جـ٤، صـ٥٨٣.

[١٣]- عبد الستار، الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي، صـ ١٧.

[١٤]- السخاوي، الضوء اللامع، جـ ٣، صـ ٩ .

[١٥]- المقريزي، السلوك لمعرفه دول الملوك، جـ٤، صـ ٥٨٣ .

المنارة للاستشارات
www.

مراقبه النظار المباشرين لخدمتها؛إلي جانب رعايته لشئون الحج، فعمل منذ أن تولى السلطنة على تعبيد طريق الحج، فحفر الكثير من الآبار علي طول الطريق وزودها بالماء اللازم، وكانت محطات طريق الحج في عهد السلطان برسباي واحة من الراحة والأمان، وإليه يرجع الفضل أيضاً في إلزام الفقهاء وطلبة العلم الشرعي بالخروج مع موكب الحج الأكبر إلي الحجاز،فكانت راحة الحجاج من ضمن أولوياته، فإليه يرجع الفضل الي الاهتمام بموانيء الحجاز وتجهيزها بما تحتاجه[١٦]. وعلى الصعيد السياسي كان قد رفض طلب شاه رخ لكسوة الكعبة[١٧]، لإيمانه بأن هذا من صميم اختصاصه والتزامه المقدس بهما.وقد أشادت النصوص التأسيسيه والمصادر التاريخيه بأعمال التجديد والإعمار التي أولاها السلطان برسباي للحرمين الشريفين.

ومما هو جدير بالملاحظة في هذا المقام أن السلطان برسباي كان يتابع أعمال الترميم والإصلاح التي كانت تتم بالمسجد الحرام، ويتابع بنفسه أيضا أوجه الصرف للمبالغ التي رصدها على إعمار المسجد الحرام، ويستدل علي ذلك مراجعته للقاضي جلال الدين البلقيني الذي حصل على مبلغ سبعة آلاف دينار لعمارة المسجد الحرام ولم يصرف منها علي عمارة المسجد الحرام إلا ألفي دينار فقط، فعمل السلطان برسباي على استرجاع هذه الاموال. وهذا يدل علي أن عمارة المسجد الحرام كانت تأخذ مكانة متميزة واهتماماً خاصاً من السلطان برسباي[١٨] الذي كان يتابع بنفسه أعمال الإعمار والتجديد بالمسجد. فلم يمر عام في سلطته إلا وكان له من أعمال التجديد والصيانة في عمارة الحرمين الشريفين. وقد سجلت هذه الأعمال، إما في نقوش تأسيسية أو في المصادر التاريخية المعاصرة لحياة السلطان.

فبعد أن بويع بالسلطنة مباشرة في نهاية شهر جمادى الآخرة سنه ٨٢٥هـ/يونيو ١٤٢٢م استهل ولايته بتعمير أماكن كثيرة وضرورية بالمسجد الحرام، فكلف الأمير مقبلا القديدي، بإصلاح الروازن التي بسطح الكعبة ورخامه الذي يلي ميزابها، حيث كان ماء الأمطار ينتقع عليها لخراب ما تحتها؛ فأزيلت وما تحتها من الخراب، وأحكم إصلاح ذلك، كما أعيد إصلاح وتجديد الأخشاب كانت التي بسطح الكعبة المعدة لربط كسوتها، وكانت قد تخربت، فقلعت وأبدلت بأخشاب غيرها جديدة محكمة، وضعت في مواضعها القديمة، وجعل فيها الحلقات الحديدية القديمة التي تربط فيها الكسوة بعد أن استبدلت بأخرى جديدة[١٩]. كما كسيت الكعبة الشريفة على العادة في ضحوة يوم النحر،

١٦- المقريزي، السلوك لمعرفه دول الملوك، جـ٤، صـ ٧٥٤، ٨٦٠ .
١٧-ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، صـ ١٥٨، ١٦٠ .
١٨- ابن حجر، أبناء الغمر في أنباء العمر، صـ ٢٧٠ -٢٧١ .
١٩- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٨٧ .

المنارة للاستشارات
www.

واستبدلت الجامات المنقوشة بالحرير الأبيض علي كسوه الكعبه في الجانب الشرقي بجامات أخرى سوداء[٢٠].

وفي صفر من عام ٨٢٦هـ/يناير١٤٢٣م تم تسجيل أعمال تجديد وإعمار كبيرة في داخل الكعبة المشرفة على نقش تأسيسي داخل باب الكعبة، وهو موضوع هذه الدراسة والتي سيأتي الحديث عنها بالتفصيل إن شاء الله.

وفي ذي الحجة من عام ٨٢٦هـ/نوفمبر١٤٢٣م وفى أثناء موسم الحج أزيلت كسوة الناصر حسن للكعبة من داخلها، واستبدلت بكسوة أخري جديدة حمراء اللون، أنفذها السلطان الأشرف برسباي على يدي ناظر الجيش، المقر الزيني عبدالباسط[٢١]، وجعلت فى جوف الكعبة[٢٢].

وفي جمادى الأولى من عام ٨٢٧هـ/أبريل١٤٢٤م، أمر السلطان الأشرف برسباي بتنظيف المسجد الحرام وصيانته، نتيجة ما أصابه من أضرار جراء السيل الذي ضرب مكة المكرمة ليلة الثالث من ذلك الشهر، ودخل المسجد الحرام من أبوابه بجانبه اليماني، وقارب منسوب المياه الحجر الأسود، وألقى فى المسجد أوساخا كثيرة من الطين والزبل[٢٣].

وفي عام ٨٢٨هـ/١٤٢٥م كان للسلطان الأشرف برسباي جهود واضحة في الحفاظ على الأمن والأمان في مكة المكرمة، وخارجها نتيجة لما تعرض له بعض قوافل الحجاج من أخطار وقطاع طرق، وهو ما دفعه إلى تكليف الأميرين كُزل[٢٤] ، والأمير نور الدين الطنبدي[٢٥]بتعمير الكثير من المواضع بدرب حج الحجاز وهي قلعة عجرود، والأزلم، ومغارة شعيب، وقلعة الوجه[٢٦].

رعاية السلطان برسباي لعمارة الحرم الملكي وإصلاحه استمرت طوال سنوات حكمه، كما تشير بذلك المصادر التاريخية. ففي سنه ٨٣٠هـ/١٤٢٧م أرسل السلطان الأشرف برسباي مجموعة مراسيم لعمارة الحرم الشريف وترميمه، بإشراف مباشر ديوان[٢٧] جدة، سعد الدين إبراهيم بن يوسف القبطي الفوي، الشهير بابن المرأة، وشاد

---

[٢٠]- النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٨٧ .

[٢١]- والذي كان السلطان الأشرف برسباي قد فوض إليه أمر مكة وعمل المصلحة فيها لكفايته وعظيم رتبته. النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٩٦.

[٢٢]- النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٩٦.

[٢٣]- النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٦٠٧,

[٢٤]- عن ترجمته انظر: السخاوي، الضوء اللامع، جـ٦، صـ٢٢٨

[٢٥]- هو علي بن محمد، التاجر نور الدين بن جلال الدين الطنبدي المصري توفي سنة ٨٣٦هـ/ م. النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣ ، هامش٤ ، صـ٦٢٥.

[٢٦]- النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ٣ ، صـ ٦٢٤-,٦٢٥

[٢٧]- مباشر الديوان : هو الموظف الذي يكلف بإدارة العمل ، والإشراف على تنفيذه ، وإجراء المبيعات والمشتروات المتعلقة به ، واستخدام عماله. الباشا ، الفنون الإسلامية ، صـ٩٨٢.

المنارة للاستشارات
www.

العمارة شاهين العثماني[٢٨]، ففرش المسجد الحرام بالحصى والبطحاء، بعد حرثه جميعه بالبقر، وجمع التراب في كيمان، ورفعت بالفعلة والحمير إلى أسفل مكة، ووادي الطندباوي[٢٩].

وتم تعمير ثمانية عقود بالجانب الشمالي مما يلي صحن المسجد الحرام: ستة كانت تلي الأسطوانة الحمراء إلى صوب باب العمرة، واثنتان تليانها إلى صوب باب بني شيبه. كما تم تبييض المقامات الأربعة ومقام إبراهيم، وعقد الصفا، وتم بناء درج على أبواب المسجد الحرام، خاصة باب الزيادة، والعجلة، والندوة، وباب إبراهيم، وباب الرحمة، وباب أجياد، وباب الصفا، وبقية الأبواب، وذلك رداً للسيل عنها، وكان الفراغ من هذه العمارة في شهر شعبان من نفس السنة[٣٠].

كما قام شاد العمارة، شاهين العثماني، في جمادى الآخرة وأول رجب من العام التالي ٨٣١هـ/أبريل١٤٢٨م بتعمير مجموعة من المواضع بأمر السلطان الأشرف برسباي، والتي منها بئر خم بأسفل مكة من جهة المسفلة ، وكذلك عين حنين أو عين زبيدة ، وتمكن من توصيل المياه من عين بئر خم إلى البركة الكبيرة بالمعلاة التي كانت واقعة في بستان الصارم الملاصق لسور المعلاة. وتكلفت تلك الأعمال خمسمائة مثقال، ولإنجاز العمل قبل موسم الحج، استخدم شاهين العثماني مجموعة كبيرة من العمال والفعلة من شرق إفريقيا[٣١].

وفي ربيع الآخر من عام ٨٣٤هـ/١٤٣١م أرسل الأشرف برسباي الأمير شاهين العثماني الطويل، ومعه كثير من البناة والفعلة والحجارين والآلات والأزواد والأمتعة، فى نحو مائة بعير، لتعمير وإصلاح المياه التي بين القاهرة ومكة على طريق الحجاز، وحفر الآبار في المواضع قليلة المياه، فحفر بموضع يقال له زاعم وقيقاب بئرين[٣٢].

وفى عام ٨٣٦هـ/١٤٣٣م أمر السلطان الأشرف برسباي شاد عمائره بمكة وناظرها سودون المحمدي، بتجديد مقام السادة الحنفية بالمسجد الحرام أتقن مما كان عليه، ووضع فى أعلاه قبة من خشب زان مبيضة بالجص لها دائر من داخل سقف المقام : وزاد فيه فرشاً بحجارة حمراء مجلوبة من الحديبية، ولم يكن هذا الفرش فيه، ولا في بناء المقام من قبل، وصمم هذا الفرش بحيث يكون مستقلاً عن مستوى الأرض،

---

[٢٨]- هو الأمير سيف الدين شاهين العثماني الأشرفي الطويل أحد الأمراء العشروات. النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ٤ ، صـ١٩. وهي رتبة عسكرية في العصر المملوكي يقود صاحبها عشرة فرسان في الحرب ، وربما يزيدون. الباشا ، الفنون الإسلامية ، صـ٢٣٧-٢٤١.

[٢٩]- بأسفل مكة وبها حي الطندباوي وهو خلف جبل عمر وجبل الحفائر، ويمتد من هناك قبل الستين الى جرول. الفاسي (أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٦ جـ١، صـ٣٤٦.

[٣٠]-النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٦٣٧ .

[٣١]- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٤، صـ ١٨-,١٩

[٣٢]- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٤، صـ,٥٥

المنارة للاستشارات
www.

وله إزار مرتفع عنه من الحجارة الصلبة الشديدة السواد المنحوتة، تدور على المقام من الجوانب الثلاثة، حيث يشغل الجانب القبلي جدار المحراب[٣٣].

وفي عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، تضرر المسجد الحرام جراء المطر الذي سقط بغزارة علي مكة ليلة الجمعة سادس عشر جمادى الأولى، إذ سالت منه الأودية؛ فجاء سيل وادي إبراهيم وتلاقى مع سيل وادي أجياد عند باب الحزورة بالجهة الغربية من المسجد الحرام، ودخلت المياه المسجد الحرام من هذه الجهة، وبلغ علوه باب الكعبة الشريفة بمحاذاة عتبة الباب الشريف، وصار الماء بحراً إلى عتبة باب إبراهيم حتي خرج الماء؛ وبقي بالمسجد طين فى سائر أرضه بارتفاع نصف ذراع، وأشرف على رفعه الخواجا شهاب الدين أحمد بن علي الكواز، وفرش المسجد بالبطحاء، وتم إصلاح سقف الكعبة، بعد أن انصب الماء منه وابتلال الكسوة التي بداخلها وامتلاء القناديل التي بها، وفي تلك السنة أيضاً دلف سقف الكعبة فابتلت الكسوة التي بداخلها وامتلأت القناديل التي بها[٣٤].

وفي شهر المحرم من عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م أمر السلطان برسباي شاد العمائر بالمسجد الحرام، الأمير سودون المحمدي، بالقيام بتعميرات ضخمة بالمسجد الحرام ، فشرع في هدم سقف الكعبة ، وبقيت الكعبة بلا سقف مدة من الزمن، ثم شُرع في عمارتها. واستمرت هذه الأعمال من شهر المحرم حتى شهر ربيع الأول ، وأصلحت عدة شقوق فى جدار الكعبة الخارجي من جوانبها الأربعة بالجص، وقلع جميع رخام الشاذروان وعوض بغيره. كما قام سودون بهدم مئذنة باب سويقة والتي كانت تعرف بمنارة باب الزيادة[٣٥]، وبنيت بشكل محكم ، وزيد فى ارتفاعها ، وكانت مواد البناء المستخدمة فى هذه الأعمال قد جلبت من مصر، إذ كان قد جلب من القاهرة ستون ذراعا من الرخام لترميم الحجر، وشاذروان البيت، بالإضافة إلى خمسين حملاً من الجص لبياض أروقة المسجد الحرام، وعشرة قناطير حديداً لعمل مسامير، وأربعين قطعه خشب لشد أروقه المسجد الحرام[٣٦].

وفي يوم الأحد ثالث عشر ذو القعدة سنة٨٤١هـ/٨-٥-١٤٣٨م تضرر المسجد الحرام جراء دخول مياه السيول من أبوابه الشرقية واليمانية، وشُرع فى اليوم الثاني بتنظيف المسجد وحمل ما أُلقي فيه من الأوساخ والتراب، وفي العام نفسه أُصلحت بعض الرخامات بالشاذروان، تحت الحجر الأسود، وكمل بعض أرض المطاف، وأُصلح

---

[٣٣]- النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٤، صـ٦٧-,٦٨

[٣٤]- النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٤، صـ٦٩-,٧٠

[٣٥]- ويذكر القطبي فى تاريخه أن منارة باب الزيادة بناها المعتضد بالله العباسي عندما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت وأنشأها الأشرف برسباي فوزية حسين مطر، تاريخ عمارة المسجد الحرام من العصر العباسي الثاني حتي العصر العثماني، دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، صـ١٣٢.

[٣٦] - النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٤، صـ٨٢-,٨٣

المنارة للاستشارات
www.

شرخ بجدار المسجد الحرام بزيادة دار الندوة، تحت بيت زينب، ابنه القاضي أبي الفضل النويري[٣٧].

ولم تقتصر جهود السلطان الأشرف برسباي على رعايته للمسجد الحرام وعمارته وحسب، بل امتدت إلى المدينة المقدسة وسكانها، ومن أمثلة ذلك أنه ارسل فى عام ٨٢٩هـ/١٤٢٦م، أرسل برسباي مركبا فيه قمح صدقة على أهل الحرمين، وأمر الأمير آقبُغا التركماني بتوزيعها، حيث فرق خمسمائة إردب قمحاً على أهل الحرم كلهم، وعلى الرباطات والمجاورين، وعم بها أهل مكة[٣٨].

وفى عام ٨٣١هـ/١٤٢٨م، أرسل السلطان برسباي، صحبة أمير الحج الأمير مُقبل، القديدي عشرة آلاف أفلوري[٣٩] ليعمر منها عين حنين بخمسة آلاف، ويتصدق على أهل الحرمين بخمسة آلاف[٤٠].

وكان برسباي يهتم بتنظيم شؤون المسجد الحرام، ويرسل في ذلك المراسيم التي تحدد وتنظم شؤونه، ففي عام ٨٣٠هـ/١٤٢٧م وصل مرسوم صحبة ركب الحاج يتضمن منع الباعة من بسط البضائع أيام الحج بالمسجد الحرام، وكذلك منع ضرب الناس الخيام بالمسجد على المساطب وأمامها، وأن يترك المنبر الذي يخطب عليه يوم الجمعة فى مكانه مُسامتاً لمقام إبراهيم ومقام الشافعي، ولا يجر إلى جانب الكعبة؛ لأنه عند جره على عجلاته يزعج إذا استدعي إليها؛ وأن يخطب الخطيب عليه هناك. كما أمر أن تسد أبواب المسجد بعد انقضاء موسم الحج إلا أربعة: باب السلام، وباب العمرة، وباب إبراهيم، وباب الصفا، وأن تُسد الأبواب الشارعة من البيوت إلى سطح المسجد؛ وإن جاء بعدها مرسوم آخر يقضي بفتحها بشكل تدريجي، وذلك بعد عزل جميع البوابين القدامى – وكانوا قضاة وفقهاء- وولى على أبواب الحرم بوابون ليس لهم حرفة ولا صناعة ولا شغل. وأُلزم البوابين بملازمة باب الحرم والنوم عليه ليلاً ونهاراً، وألا يغيب البواب عنه إلا لضرورة، وأن يتعهد البواب الباب بكنسه ورشه وتنظيفه، ومنع الكلاب والجواري الحاملات الماء، والحُمال من الدخول فى المسجد الحرام، واستطراقه والمرور فيه لغير حاجة، ورسم السلطان برسباي أن يقرر لكل بواب عشرة أشرفية معلوما كل عام يُحمل له من أوقاف الحرمين[٤١].

---

[٣٧]- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٤، صـ١١٦- ١١٩.

[٣٨]- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٦٣٤،

[٣٩]- يقال لها الإفرنتي، وهي دنانير من ضرب بلاد الفرنجة والروم، زنتها تسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط مصري. ويقال لها المشخصة لأن علي أحد وجهيها صورة الملك التي ضربت فى عهده. عبدالرحمن فهمي محمد، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، صـ٩٥.

[٤٠]- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٤، صـ٢١-٢٢.

[٤١]- النجم ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ٣ ، صـ٦٤٥-٦٣٦،

المنارة للاستشارات
www.

ينسب للسلطان الأشرف برسباي مجموعة من الأوقاف على الحرمين الشريفين، إلى حد أنه وقف بلاداً بأكملها لهذا الغرض، فقد جاء في حجة وقف برسباي، المؤرخة في ١٦ من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م، أن الأعيان الموقوفة هي: "...مجموعة أراض ناحية الحمرا بالأعمال الجيزية، وأراض ناحية أبو لرجوان بالجيزة..."، ومن حيث أوجه الصرف نصت تلك الوثيقة على أن "...يصرف لقارئ بالحرم المكي ٢٤ديناراً أشرفياً سنوياً و٢٤ديناراً أشرفياً[٤٢] سنوياً لقارئ بالحرم النبوي..."[٤٣].

وقد عينت حجة وقفه السابقة الذكر ما وقفه برسباي على الأشراف وأهالي الحرمين الشريفين، ومنها شراء ثمانمائة قميص من الخام،تحمل في كل سنة إلى الفقراء والمجاورين بالحرم المكي الشريف، والقراء المجاورين بالحرم النبوي،وتقسم بينهم على حسب ما شرط الواقف.كما عين صرف خمسين قميصاً تصرف للفقير إلى الله شهاب الدين أحمد بن شمس الدين الحنفي، إمام الحنفية بالحرم المكي الشريف، عن قراءته خمسة أحزاب من القرآن العظيم كل يوم بعد كل صلاة من الصلوات المفروضات،كما يصرف أربعة وعشرون ديناراً أشرفياً لمن يتولى هذه الوظيفة بعده[٤٤].

وفي ضوء ما تقدم من الأعمال المعمارية التي قام بها السلطان برسباي في الاهتمام بعمارة وشؤون الحرمين الشريفين، يمكننا أن نطرح تساؤلاً هاماً وهو: لماذا لم يحرص السلطان الأشرف برسباي على إثبات أعماله بالحرم الملكي علي نقش تأسيس داخل الكعبة طوال سنوات حكمه، وهي الأعمال التي رصدت من المؤرخين المعاصرين لمدة حكمه؟ بينما اقتصر تسجيل هذه الأعمال على سنة واحدة فقط هي عام ٨٢٦هـ؟ وهي السنة المؤرخ بها النقش التأسيسي موضوع الدراسة.

والإجابة عن هذا التساؤل تتطلب من الباحث إعادة رصد نوعية الأعمال التي تمت في الحرمين والتي علي آثارها تم توثيقها، أو بمعنى آخر أنه ربما يكون ذلك لأن الأعمال التي تمت من السلطان الأشرف برسباي بالمسجد الحرام في الأعوام السابقة واللاحقة علي تاريخ النقش المؤرخ بعام ٨٢٦هـ/١٤٢٣م، موضوع الدراسة، لا تعدو كونها أعمال صيانة وترميم اعتيادية، وأن الأعمال التي حرص السلطان وشاد عمارته علي توثيقها في لوح رخامي داخل الكعبة هى فى غاية الاهمية لكونها تتعلق بالكعبة المشرفة.

ثالثاً- الخلفية التاريخية لنقش السلطان الأشرف برسباي المؤرخ بـ ٨٢٦هـ/١٤٢٣م:

[٤٢]- الأشرفية: هي دنانير ذهبية سُكت في عهد برسباي الأشرفي في مدينة القاهرة وتعرف بالدنانير البرسباهية. عبدالرحمن فهمي محمد، النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، صـ١٠٠.

[٤٣]- أحمد هاشم أحمد بدرشيني، أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية-حضارية-وثائقية من واقع أرشيف القاهرة، دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، صـ١١٣.

[٤٤]- بدرشيني، أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي، صـ١٢٦.

المنارة للاستشارات
www.

في ضوء فحص واستقراء المصادر التاريخية المعاصرة للحقبة التاريخية موضوع الدراسة، نجد أن وراء نقش السلطان برسباي المؤرخ بسنه ٨٢٦هـ/١٤٢٣م والمثبت بالحائط الشرقي للكعبة من الداخل خلفية تاريخية مهمة استدعت توثيق أعمالها وإثباتها بنقش تسجيلي أو تذكاري، إذ جاء في أحداث السابع عشر من ذي الحجة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م أن اشتد سقوط المطر[٤٥] على مدينة مكة وتعذرت الصلاة في صحن المسجد الحرام. وقد أمدتنا المصادر التاريخية بوصف تفصيلي لتلك الأحداث، فذُكر أنه لما فرغ المصلون من صلاة الصبح أمام دار الندوة لتعذر الصلاة بمقام إبراهيم، حمل بعض سدنة المسجد الشمع ليوصله إلى القبة المعدة لحفظه في الموضع بين سقاية العباسي وقبة زمزم، والتي وصل إليها بعد جهد نتيجة ارتفاع منسوب مياه الأمطار في صحن المسجد الحرام، وكادت تُغرق من في داخل السقاية جميعا، إذ بدأت مياه السيل تدخل إلى المسجد الحرام من الأبواب التى بجهة الصفا، والأبواب التي بالجهة الشرقية إلي أن غمرت السيول المسجد حتى وصلت إلى عتبة باب الكعبة[٤٦]، وقد أحدث السيل تدميراً كبيراً في عمارة المسجد الحرام فُهدمت عتبة إبراهيم، وألقى السيل في داخل المسجد من الوحل والطين أكواماً كثيرة. كما خرب السيل مواضع الباب الجديد بسور باب المعلاة، وكذلك ما يلي هذا الباب والباب القديم، وكسر الباب الأيمن عن يمين الداخل[٤٧].

وصف المقريزي أحداث تلك الحادثة بقوله:"كانت هذه السنة (٨٢٥هـ/١٤٢٢م) على الحجاج مشقة إلى الغاية، توالت فيها الأمطار الخارجة عن الحد زيادة علي أربعين يوماً وأتت سيول مهولة مع غلاء الأسعار، وبيع الحمل الدقيق بخمسة وثلاثين أفلوريا،وبيعت ويبة الشعير في الأزلم بخمسين مؤيدياً، فيكون الأردب الشعير على ذلك بألفين ومائة درهم من نقد القاهرة،وكثرت موت الجمال، ومشت النساء والصغار عدة مراحل، ومات كثير من الناس واشتد الحر ثم البرد وكثر الخوف"[٤٨].

كانت تلك الأحداث وما أصاب المسجد الحرام من تدمير وخراب دافعاً للسلطان الأشرف برسباي على القيام بأعمال تجديد وإصلاح ما خرب بالمسجد الحرام والتي بدأها في عام ٨٢٦هـ/١٤٢٣م[٤٩]، وهو تاريخ النقش الذي نحن بصدد الحديث عنه وتحقيقه، فعند أزيلت كسوه الناصر حسن للكعبة من داخلها، وعوضت بكسوة جديدة حمراء، وجُعلت في جوف الكعبة، وفي صفر من العام نفسه قلع الرخام الذي كان

---

[٤٥]- المقريزي، السلوك لمعرفه دول الملوك، جـ٤، صـ ٨٢٦ .

[٤٦]- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ ٥٨٩ .

[٤٧]- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٩٠-٥٩١.

[٤٨]- المقريزي، السلوك لمعرفه دول الملوك، جـ٢ ، م٢، صـ٦٢٨.

[٤٩]- وكان ذلك بإشراف مشد العماره الامير مقبل القديدي والناظر في العماره الخواجا شيخ علي الكيلاني.
النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٩٧-٥٩٩؛ حسين عبدالله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة –عمارتها وكسوتها وسدانتها، ط١، ١٣٥٤هـ، ص١٧٥.

المنارة للاستشارات
www.

بأرض الكعبة بين الجانب الغربي والأساطين التي فيها لتخربه، وأُعيد محكما كما كان، وأصلح رخام آخر في بعض جدران الكعبه لتخربه[٥٠] .

وفي يوم الخميس رابع عشر من صفر من السنة نفسها تم إصلاح الأسطوان الخشبي أمام باب الكعبة من الداخل، بعد أن أخبر شيخ السدنة، جمال الدين محمد بن علي الشيبي، أنه سمع فى أثناء الصلاة صوت طقطقة للأسطوان الخشبي التي أمام باب البيت، وأنه انتقل من موضعه قدر ذراع فتم تبليغ شاد العمارة[٥١]، الأمير مقبل القديدي، والخواجة شيخ علي الكيلاني الناظر في العمارة؛ فجمعت القضاة الأربعة وناظر الحرم يوم السبت سادس عشر صفر، وفتح البيت الشريف، وحضر نائب البلد، وجمال الدين يوسف المهندس، وجاء بالصناع وكشف الأسطوان من فوقها وتم رد الأسطوان إلى مكانه وأتقن أمرها[٥٢].

وهذا يؤكد أن أمر إعمار وترميم الكعبة والمسجد الحرام كان أمراً جللاً، ولم يكن قرار الترميم والإصلاح منوطاً بشخص بعينه، بل كان قراراً يشترك فيه الجميع، وتتم الموافقة وعمل خطة يشارك فيها خبراء من العرفاء والمهندسين والصناع بحضور القضاة الأربعة، ونائب عن السلطان، للتحقق من جودة وجدية الأعمال المقترح تنفيذها بالمسجد الحرام، والتي كان من بينها إعادة تجديد الأرضية الرخام والجدران بالمسجد وكذلك إعادة ترميم حجر إسماعيل من الداخل والخارج[٥٣]. كما جُددت أبواب المسجد الحرام، وأصلحت ورممت حوائط ودعامات الأبواب، وأعيد تسقيف المسجد وبياضه بالنورة: وقد أشرف على تلك الأعمال الأمير مقبل القديدي[٥٤].

رابعا- الدراسة التحليلية للنقش :

في ضوء ما وصلنا من نصوص ونقوش تأسيسه ومصادر تاريخيه، أمكن من خلالها رصد أبرز الأعمال التي قام بها السلطان الأشرف برسباي بالمسجد الحرام، ومن أهمها موضوع هذا النقش المؤرخ ٨٢٦هـ/١٤٢٣م والكائن بالجدار الشرقي داخل الكعبة، والذي يسجل أعمال التجديد وأماكنها داخل المسجد الحرام، مما يجعلنا نؤكد علي أهمية النقوش الأثرية بوصفها وثيقة مؤكدة بالنسبة إلى صاحبها، وكذلك مؤكدة للحدث التاريخي، وكذلك نوعية ومضمون الأعمال التي وردت فى النقش. من هنا كان اهتمام علماء الآثار والباحثين بدراسة هذه النقوش ودراسة ما تعكسه من جوانب حضارية وثقافية وأثرية ولغوية، إذ تفيد الدراسة الأثرية التحليلية لهذه النقوش التعرف على تطور

٥٠- عن هذه العمارة انظر: حسين عبدالله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، ص٣٣٤-٣٣٥.

٥١- مشد العمارة: هو اللقب الذي كان يتلقب به من أكابر الدولة من العسكريين كنواب السلطنة ونحوهم، والذين كانت تسند إليهم مهام الإشراف على عمارة المسجد الحرام والإشراف، ومتابعتها.الباشا، الألقاب والوظائف، صـ٤٧١.

٥٢- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٩٧-٥٩٨.

٥٣- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٩٨-٥٩٩.

٥٤- النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٥٩٩ .

المنارة للاستشارات
www.

الخط العربي، وأساليب وطرق التنفيذ والزخرفة إن وجدت، والتي تمكننا، في كثير من الأحيان، من تصحيح بعض الأخطاء الشائعة. كما تفيد دراسة هذه النقوش من حيث الجانب اللغوي في التعرف على الشكل والإعجام وما أُدخل عليها من تجديد. كما تساعدنا دراسة هذه النقوش في تعرف الدلالات التي يتضمنها سياق النص أو النقش. كذلك تساعدنا دراسة هذه النقوش من الناحية الأثرية التحليلية على تعرف ما ورد فيها من الألقاب والوظائف، أو الإشارات على طبيعة صاحب النقش ومكانته والأعمال التي أنجزها، وغير ذلك من الجوانب التي تعكسها دراسة النقوش التأسيسية. وهذا ما سيتضح، إن شاء الله من خلال دراسة نقش السلطان الأشرف برسباي المؤرخ ٨٢٦هـ/١٤٢٣م، وما يعكسه على الجانب الأثري والحضاري، وذلك كما يلي:

١- الوصف الفني للنقش :

المكان: يقع النص داخل الكعبة في الحائط الشرقي[٥٥] .

المقاس: لوحه مستطيلة الشكل أبعادها ٨٩ سم × ٥٥سم .

المادة الخام: من الرخام الأبيض .

نوع الخط: ثلث بسيط .

أسلوب التنفيذ: الحفر البارز[٥٦] .

عدد الأسطر: تسعة أسطر بمتوسط عدد كلمات خمس في كل سطر تقريباً .

تاريخ النقش: ٨٢٦هـ/١٤٢٣م .

الزخرفة: يخلو النص من العناصر الزخرفية .

٢- نص النقش (لوحة٢)، (شكل١):

السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم.

السطر الثاني: ربنا تقبل منا انك انت السميع.

السطر الثالث: العليم تقرب الي الله تعالي.

السطر الرابع: بتجديد رخام هذا البيت المعظم.

السطر الخامس: المشرف العبد الفقير الي الله.

السطر السادس: تعالي السلطان الملك الاشرف.

السطر السابع: ابو النصر برسباي خادم الحرمين الشريفين.

---

[٥٥]- وقد شاهد هذا النقش البتنوني وذكره فى رحلته ووصفه بأنه منقور ومنقوش بالذهب ومثبت بالجدار الغربي من الكعبة المقابلة للباب الشريف من الداخل. البتنوني (محمد لبيب)، الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي الثاني خديوي مصر، القاهرة: مطبعه الجمالية، الطبعة الثانية، ١٣٢٩هـ، صـ١٠٧.

[56]- عن الحفر بأنواعه راجع: Hawary, H., Rached, H., Catalogue Général du Musée Arabe du Caire, Stéles Funéraires, Imprimerie de L' Institut Francais d' Archéologie orientale, le Caire, 1932, Tome premier, PP. VI – VII.

المنارة للاستشارات
www.

السطر الثامن: بلغه الله آماله وزين بالصالحات.

السطر التاسع: اعماله بتاريخ سنه ست وعشرين وثمان مائه.

٣- الأسلوب الفني للنقش :

نُفذ النقش بالخط الثلث المملوكي الجيد، وقد رُكب الخط تركيباً خفيفاً بتركيب حرف أو حرفين للكلمة نفسها أو كلمة أخرى على بعضها. كما جاء التركيب ثنائياً وثلاثياً فى بعض الكلمات. ففى السطر الأول رُكبت كلمة (الله) على كلمة (بسم). كما ركبت كلمة (تقرب) على كلمة (العليم) بالسطر الثالث. كما ركبت كلمة (برسباي) على كلمة (ابو النصر) بالسطر السابع، وفى السطر التاسع والأخير ركبت الكلمات (سنة، ست، وعشرين) تركيبا ثلاثياً (لوحة٢)، (شكل١)، وهذه الظاهرة تعتبر من الخصائص المميزة لخط الثلث، كما قدمت بعض الحروف عن موضعها، وهذا أيضاً من خصائص الخط الثلث. وهذه الظاهرة جاءت نتيجة طبيعية لظاهرة تركيب الحروف والكلمات بالنقش. كما تقاطع حرف مع آخر أو أكثر، فقد تقاطع حرف الباء بكلمة (تقرب) مع حرف الألف فى كلمة (الى) بالسطر الثالث، كما تقاطع حرف الدال فى كلمة (العبد) مع حرف الألف فى كلمة (الى) بالسطر الخامس، وتقاطع حرف الراء بكلمة (الفقير) مع الثلاثة الحروف المكونة لكلمة (الى) فى السطر نفسه، كما تقاطع حرف اللام المتوسطة فى كلمة (السلطان) مع حرف النون المختتمة فى الكلمة نفسها وذلك بالسطر السادس. وتقاطع حرف الألف المتوسطة بكلمة (خادم) مع حرف النون المختتمة بالكلمة نفسها بالسطر السابع. وبلغ التقاطع أقصاه فى نقش برسباي فى السطر الثامن في كلمة (بالصالحات) حيث تقاطعت الحروف اللام والحاء والتاء مع حرف الألف المتوسطة. وفى السطر التاسع تقاطع حرف النون المختتمة فى كلمة (ثمان) وحرف الألف السابق عليها بالكلمة نفسها، كما تقاطع حرف الياء فى كلمة (مايه) مع حرف الألف المتوسطة السابقة عليه بالسطر نفسه (لوحة٢)، (شكل١).

وأهملت الهمزة فى كلمات النقش، وكذلك إهمال نقاط الإعجام في الكثير من كلمات النقش.

ومما يلاحظ على النقش أن الخطاط حافظ فيه علي الوحدة الفنية بين السطور في تماثل واتزان، سواء بين عدد الكلمات في السطر الواحد أو بين أحجام الكلمات، ونسبتها الفنية بعضها ببعض وهي من أهم الخصائص الفنية لخط الثلث، مع محافظة النقش علي قاعدة الشكل والإعجام في النص بشكل واضح وبخاصة استخدامه لعلامات الشكل في ملء الفراغات، متأثراً في ذلك ببعض خطوط المصاحف المملوكية.

النقش جاء في مجمله بسيطاً خالياً من التعقيدات الخاصة بعملية تركيب الكلمات بشكل أكثر تعقيداً، إلا أن النقش امتاز بالبساطة والوضوح، وإن كان يؤخذ على الكاتب إغفال القيم الجمالية في تنفيذ النقش، كما خلا النقش من الأخطاء الإملائية، واعتمد

المنارة للاستشارات
www.

النقاش علي كتابه حروف بعض الكلمات بأكثر من طريقة، كما فى حرفي السين والشين اللتين جاءتا بشكل مسنن فى سبع كلمات من أصل تسع كلمات (شكل١).

أما عن طريقة رسم حروف النقش (شكل١، ٢) فقد جاء حرف الألف المبتدئة ذات رؤوس زخرفية تشبه المثلثات، مع عطفه مسلوبة جهة اليسار، وجاء قائم الألف يأخذ فى الانقباض من أعلى لأسفل، ومن النماذج المبكرة للنقوش التي ظهر فيها شكل المثلث أعلى حرف الألف المبتدئة بنقش شاهدي بالحجاز مؤرخ بعام (٣٨٥هـ/٩٩٥م)[٥٧]. أما الألف المتوسطة بالنقش فقد جاءت على شكلين الأول بالهيئة نفسها المبتدئة كما فى كلمات (برسباي) بالسطر السابع، أما الشكل الثاني فجاءت فيه الألف المتوسطة والمنتهية بهيئة قائم ينتهي بشكل مائل للخارج (شكل١).

وعليت حرف الباء المبتدئة فى كلمة (بسم) بالسطر الأول للنقش حتى غدت فى علو الحروف الطالعة كالألف واللام بالنقش نفسه[٥٨]. أما فى باقي النقش فقد قصر قائم الباء، مع ميله جهة اليسار فى بعض الكلمات، كما فى (بتجديد) بالسطر الرابع، وكلمة (بالضعفاء) بالسطر الثامن، وكلمة (بتاريخ) بالسطر التاسع، تارة كما فى النقوش. أما حرف الباء المتوسطة. فجاءت ذات قائم قصير وبنهاية مسلوبة. أما حرف التاء فلم تختلف طريقة كتابتها عن طريقة كتابة حرف الباب.

حرف الجيم وأخواتها جاءت على هيئة زاوية حادة دون زخرفة لخط منكبها، وفى بعض الكلمات نلاحظ بنهاية المنكب خطاً قائماً هابطاً لأسفل، لاسيما في المبتدئة، وإن جاءت بشيء من الليونة والتقوس دون زخرفة لخط منكبها فى بعض الكلمات كما فى كلمة (الحرمين) بالسطر السابع.

الدال والذال وردتا بالنقش قريبة من الشكل الذي نكتب به حاليا، مع نهاية العراقة من أعلى بخط مائل، وعقف نهاية خطها الأفقي لأعلى بعض الشيء، أما حرفي الراء والزاي فقد وردتا بالهيئة نفسها التي نكتب بها حاليا، كما في كلمة (ربنا) بالسطر

---

[٥٧]- محمد فهد عبدالله الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، ط١، تهامة للنشر (جدة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م)، صـ٢٦٢ لوحة٤٥.

[٥٨]-عن نماذجها المشابهة انظر على سبيل المثال:إبراهيم جمعة، دراسة فى تطور الكتابات الكوفية على الأحجار فى مصر فى القرون الخمسة الأولى للهجرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٩م، صـ١٦٦، ١٨٠، ١٨٦، ٢١٧، ٢٢١، ٢٦٤؛ أحمد بن عمر الزيلعي، نقوش إسلامية من حمدانة بوادي عليب، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، صـ٤٦، ٥٤، ٦٢، ٧٦؛ حسن الباشا، أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في العصر الإسلامي، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٩٤، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠١؛ موضي بنت محمد بن علي= =البقمي، نقوش إسلامية شاهديه بمكتبة الملك فهد الوطنية –دراسة في خصائصها الفنية وتحليل مضامينها، مطابع نجد التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، صـ٢٤١، ٢٤٧؛ عبدالرحمن بن على الزهراني، كتابات إسلامية من مكة المكرمة (ق١-٧هـ/٧-١٣م)، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، صـ٤٩٦، ٥٠١: ٥٠٣، ٥٠٦: ٥٠٨، ٥١٤، ٥١٨، ٥٢٠.

المنارة للاستشارات
www.

الثاني، وكلمة (تقرب) بالسطر الثالث، وكلمة (الحرمين) بالسطر السابع، و(زين) بالسطر الثامن، و(بتاريخ) بالسطر التاسع، كما يظهر الترطيب والليونة فى كتابتهما فاتخذتا إما شكلاً مقوساً كما فى كلمة (الرحمن، الرحيم) بالسطر الأول، إذ تشابه حرف الراء مع حرف النون بالنقش كما فى كلمة (رخام) بالسطر الرابع. وكلمة (برسباي) بالسطر السابع، والتي تشابهت مع طريقة كتابة حرف النون المختتمة فى كل من كلمة (الشريفين) بالسطر السابع، وكلمة (عشرين) بالسطر التاسع، حيث ضمت شكلاً مقوساً مرتفعاً نحو أعلى جهة اليمين ثم ترجع بتقويس آخر نحو اليسار.

حرفا السين والشين جاءتا على ثلاثة أشكال: الأول: استخدم الخطاط الشكل القديم الذي رسمت فيه الأسنان قريبة من هيئة المثلثات كما فى كلمة (بسم) بالسطر الأول، وكلمة (السميع) بالسطر الثاني، و(المشرف) بالسطر الخامس، و(السلطان) بالسطر السادس، و(الشريفين) بالسطر السابع، ورسمت فى الشكل الثاني على هيئة خطوط وقوائم عريضة، وبارتفاعات متفاوتة كما فى كلمة (الاشرف) بالسطر السادس، وكلمة (ست) بالسطر التاسع، أما الشكل الثالث فقد جاء حرفا السين والشين بدون أسنان على هيئة خط أفقي كما فى كلمة (برسباي) بالسطر السابع، وكلمة (سنة) بالسطر التاسع. أما حرفي الصاد والضاد فقد كتبتا قريبه من الشكل الذي نكتب به حاليا كما فى كلمة (ابو النصر) بالسطر السابع، وكلمة (بالضعفاء) بالسطر الثامن.

أما حرفا الطاء والظاء فقد وردتا فى نقش برسباي بالهيئة نفسها التي نكتب بها حاليا مع تصميم نهاية الطالع بهيئة مثلثة مثل نهايات قوائم الألف واللام بالنقش نفسه؛ أما حرفي العين والغين، فقد جاءت العراقة العليا للمبتدئة على هيئة معقوفة للداخل كما فى كلمة (اعماله، وعشرين) بالسطر التاسع، فى حين وردت كل من العين المتوسطة والمختتمة على شكل مثلث مقلوب ذي قنطرة، كما فى كلمة (السميع) بالسطر الثاني، وكلمتي (العليم)و(تعالى) بالسطر الثالث، وكلمة (المعظم) بالسطر الرابع، وكلمة (العبد) بالسطر الخامس، وكلمة (تعالى) بالسطر السادس، و(بلغه) بالسطر الثامن، وبذلك تخلصت من التأثيرات النبطية التي كانت تظهر فيها دون قنطرة[٥٩]؛ أما حرفا الفاء والقاف فقد جاءتا بهيئة دائرية كاملة الاستدارة مرتكزة على قائم قصير.

حرف الكاف الذي ورد فى كلمة واحدة بالنقش هى كلمة (الملك) بالسطر السادس، جاءت بالشكل نفسه الذي نكتبها به حاليا. أما حرف اللام فقد جاءت المتوسطة على هيئة قائم ينتهي من أعلى بهيئة مثلث بارز جهة اليمين، كما فى كلمات (الله، الرحمن، الرحيم) بالسطر الأول، و(السميع) بالسطر الثاني، و(العليم، الى، الله) بالسطر الثالث، وكلمات (البيت، المعظم) بالسطر الرابع، وغير ذلك من الكلمات، وتشابهت اللام المتوسطة بكلمة (السلطان، الملك)، بالسطر السادس، وكذلك بكلمة (بلغه) بالسطر الثامن بهيئة الألف المتوسطة نفسها الواردة فى بعض الكلمات بهذا النقش، أي على هيئة قائم

[٥٩]- محمد فهد عبدالله الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، صـ١٨٨

المنارة للاستشارات
www.

ذي نهاية مشطوفة جهة اليمين أو جهة اليسار. وتأخذ (اللام ألف) في الكلمة الوحيدة بنقش برسباي وهي (الاشرف) بالسطر السادس، هيئة انسيابية تشبه فيها اللام هيئة رقم (٧) بدون قاعدة كما هو معتاد.

أما حرف الميم فقد جاءت عقدة الميم المبتدئة أو المتوسطة أو المختتمة كاملة الاستدارة، وتميزت الميم المختتمة بثني عراقتها لأعلي مع الارتداد جهة اليمين قليلا؛ وتشابه حرف النون بنقش برسباي في كلمتي (الحرمين) و(الشريفين) بالسطر السابع، وكلمة (عشرين) بالسطر التاسع، إلى حد كبير مع حرف الراء كما سبق وذكرت، فاتخذت شكلاً مقوراً بُترت فيه عراقة النون فبدت كحرف الراء، وجاءت بالهيئة نفسها التي نستعملها اليوم كما فى كلمة (السلطان) بالسطر السادس، وكلمة (زين) بالسطر الثامن. أما النون المبتدئة والمتوسطة فقد جاءت على هيئة قائم غير مرتفع.

اتخذ حرف الهاء المبتدئة الشكل النبطي[٦٠]، على هيئة دائرة مشقوقة من وسطها بخط مائل كما في كلمة (هذا) فى السطر الرابع، وجاءت الهاء المختتمة بهيئة معقوفة وتشبه فى شكلها العام حرف الراء فى كلمة (الاشرف) بالسطر السادس (شكل١)؛ أما حرف الواو، فقد اتخذت عقدة الواو الهيئة المستديرة كما في كلمة (وزين) بالسطر الثامن، وكلمة (وعشرين، وثمان) بالسطر التاسع. أما حرف الألف المقصورة والياء فقد جاءت مرة على شكلها العربي الصحيح كما فى كلمة (الى) بالسطر الثالث، وكلمة (تعالى) بالسطر السادس، وفي كلمة (برسباي) بالسطر السابع، وجاءت مرة أخرى فى شكلها النبطي (الياء الراجعة)[٦١] كما فى كلمة (تعالى) بالسطر الثالث.

ومما يلاحظ على نقش برسباي موضوع الدراسة أيضا خلوه من ظاهرة الفصل والوصل[٦٢].

٤- تحليل النص من حيث الدلاله والمضمون :

يأتي في مقدمه تحليل النقش من حيث الدلالة والمضمون، تعرف الهدف من وضع نقش تسجيلي يتضمن أعمال إنشاء جديدة أو أعمال تجديد في داخل الكعبة نفسها، وليس علي أعمدة أروقة المسجد، في حين أن الاسم العام للمكان هو المسجد الحرام من وجهه نظر الباحث أن هذا مقصود من صاحب هذا النقش إذ إن أشرف بقعة في داخل الحرم هي الكعبة.

٥- تحليل النقش ونصه :

في ضوء ما وصلنا من نصوص تاريخية تفيد بقيام السلطان برسباي في عام ٨٣٠هـ بتجديد الرخام بأرضية المسجد الحرام وأرضية الأروقة[٦٣]، بينما ورد بالنقش

---

[٦٠]- محمد فهد عبدالله الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، صـ١٩٦.

[٦١]- محمد فهد عبدالله الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز، صـ ٢٠٨,

[٦٢]-عن هذه الظاهرة انظر: غانم قدوري حَمَد، موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة، مجلة المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، بغداد، شتاء ١٩٨٦م، صـ٤١.

المنارة للاستشارات
www.

الرخامي، موضوع الدراسة، تاريخ ٨٢٦هـ تاريخا لأعمال تجديد الرخام بأرضية المسجد الحرام أيضاً، مما يجعلنا نؤكد على أهمية النقوش الأثرية بوصفها وثيقة مؤكدة التاريخ وفي الوقت نفسه تفرض علي الباحث الفصل فيما ورد من تباين أو اختلاف بين تواريخ أو أحداث، فعلي الرغم من الأخذ بتاريخ النقش وتقديمه على باقي التواريخ الواردة في النصوص التاريخية، إلا أن الباحث يجد في هذا التباين مادة تحليلية يحاول من خلالها الربط بين التاريخين حيث لم يشر النقش الرخامي موضوع الدراسة بأن هذا للنقش قد سُجل في بداية أعمال الترخيم التي قام بها السلطان برسباي في الحرم المكي أو عند الانتهاء من تلك الأعمال. وهذا يفرض تساؤلاً: هل التاريخ الوارد بالنقش موضوع الدراسة والمحدد في عام ٨٢٦هـ هو بداية الأعمال؟ والتاريخ الوارد في المصادر التاريخية والمؤرخ بسنه ٨٣٠ هـ هو تاريخ الانتهاء من تلك الأعمال ؟ أم أن لكل تاريخ أحداثاً مستقلة خاصة به؟.

بدأ النص بالبسملة لكونها فاتحة الكتاب في المصحف الشريف، ثم دعاء مقتبس من القرآن الكريم من سورة البقرة (آية رقم ١٢٧)، والتي يتوافق معناها من حيث المعنى والدلالة مع مضمون النقش الذي يتضمن أعمال تجديد في الكعبة المعظمة من السلطان برسباي تقرباً إليه وكسباً لثوابه، حيث يدلل نص الآية ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭﭼ على أن ما تم من أعمال في عمارة الكعبة هو خالص لوجه الله تعالى لا يبغي صاحبها من ورائها إلا القبول. ومن الجدير بالذكر أن هذا الدعاء، الذي بدأ به نص النقش بعد البسملة، والمثبت في الجزء الشرقي من الكعبة المشرفة من الداخل، يعد أقدم نموذج مؤرخ، إذ إن النقوش التأسيسية السابقة والكائنة بداخل الكعبة المشرفة لم تستخدم ضمن عباراتها هذا الدعاء.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن صيغة هذا الدعاء سوف تؤثر فيما بعد على صيغ النقوش التأسيسية اللاحقة على نقش السلطان برسباي والمؤرخ في ٨٢٦هـ، إذ نجد هذا الاقتباس في نقش السلطان قايتباي بداخل الكعبة المشرفة المؤرخ في عام ٨٨٤هـ، وكذلك في نقش السلطان مراد خان والمؤرخ ١٠٣٩هـ، ونقش السلطان محمد خان المؤرخ ١٠٧٠هـ.

ومن هنا كان حرص أصحاب هذه النقوش التأسيسية أن تُعلق في داخل الكعبة لهدفين أساسيين: أولهما، أن تكون أعمالهم خالصة لوجه الله سبحانه وتعالي، وأن تُقبل منهم تقربا إلى الله وصدقة جارية، والآخر، أن تكون بعيدة عن أعين الناس حتى لا يكون المراد منها هو الافتخار والإعلان.

وهذا ما يتضح في نقش السلطان برسباي المؤرخ بـ ٨٢٦هـ، موضوع الدراسة، إذ لم يرد في نص النقش كلمة (امر) كما هو معتاد في النقوش التأسيسية السابقة أو

---

[٦٣]-عن هذه الأعمال وما تم بها ومن اشرف عليها انظر: النجم ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جـ٣، صـ٦٣٧-,٦٤٦

المنارة للاستشارات
www.

اللاحقة الموجودة بداخل الكعبة المشرفة، إذ انفرد نقش السلطان برسباي باستهلال النص بعبارة "تقربا الى الله تعالى" ولم يقل: "امر بعماره كذا تقرباً الى الله تعالي" كما جاء في معظم النقوش التأسيسية، سواء المرتبطة بعمارة الحرمين أو بالعمائر الدينية بشكل عام.

ومن الجدير بالذكر أن عبارة "تقرباً الى الله تعالى" سوف تُستخدم بعد ذلك على أنها تأثير مباشر من نقش السلطان برسباي المؤرخ ٨٢١هـ في النقوش التأسيسية بالمسجد الحرام والكعبة المشرفة، فظهرت بوضوح في نقش السلطان مراد خان والمؤرخ في سنه ١٠٣٩هـ[٦٤]، بينما جاءت النقوش التأسيسية الأخرى متضمنة كلمة "أمر بعمارة" أو "أمر بتجديد". وتأكيداً على ذلك أن النقوش التأسيسية المنسوبة إلى السلطان برسباي في مصر أو الشام قد ورد فيها عبارة "أمر بإنشاء"، ولكن اختلف النقش التأسيسي المؤرخ ٨٢٦هـ، موضوع الدراسة، عن غيره. وتؤكد خاتمة النقش في عبارة "بلغه الله تعالى آماله وزين بالصالحات أعماله"، وهنا يتحقق الهدف المنشود والمرجو من الأعمال الواردة في النقش موضوع الدراسة.

٦-الألقاب الواردة بنقش برسباي المؤرخ بـ(٨٢٦هـ/١٤٢٣م):

تضمن نقش السلطان الأشرف برسباي المحفوظ بداخل الكعبة المشرفة مجموعة من الألقاب، وهي كالآتي:

(الأشرف):

أفعل التفضيل من "شرف" بمعني أصبح شريفا، وهو من الألقاب التوابع المتفرعة على الألقاب الأصول، وهو أعلاها فى مصطلح دساتير الألقاب فى المماليك، وكان يستعمل للسلاطين ومن يقربهم فى الرتبة، واستعمل لقباً خاصاً لجماعة من الملوك أولهم موسي بن العادل، ومنهم صلاح الدين، وخليل بن قلاوون. ويرجح أن هذا اللقب كان رفيع القدر فى عصر المماليك نظرا لإقبال كثير من سلاطينهم على التلقب به[٦٥].

(أبو النصر):

هو من أهم الألقاب التي أطلقت على السلطان برسباي وقد أطلق عليه منذ توليه السلطنة في عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، إذ وضع الجهاد ضد جحافل الصليبين الذين اتخذوا من جزيرة قبرص بالبحر المتوسط مركزاً ينطلقون منه للإغارة على السواحل المصرية والشامية وبخاصة مدينة الإسكندرية، كما قاموا بقطع الطرق التجارية البحرية مما جعل السلطان برسباي يعد لحمله لغزو قبرص، وسبق هذه الحملة غلق كنيسة القيامة في القدس الشريف، ومنع النصارى من الدخول إليها، رداً على الاعتداءات المستمرة من قبل الفرنجة على السواحل الاسلامية. وبدأ في بناء أسطول بحري، وأعاد تحصين الموانئ والمدن الساحلية كما أنشأ برجاً حربياً قرب مدينة الطيبة بسيناء، لتأمين طريق

---

[٦٤]- انظر نص نقش مراد خان: حسين عبدالله باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة، صـ١٢٠.

[٦٥]- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، صـ١٦٠-١٦١.

المنارة للاستشارات
www.

التجارة. كل هذه الأعمال جعلت الناس تستبشر معه بالنصر، فلقب بأبي النصر، قبل أن يتمكن من غزو قبرص جنيوس بن جاك ومعه أكثر من ألف أسير من القبارصة. وقد لُقب السلطان برسباى على أثر هذا الانتصار بلقب (قاتل الكفرة والمشركين)[٦٦].

(خادم الحرمين الشريفين) :

يعد لقب خادم الحرمين الشريفين من أهم الألقاب التي كان يحرص سلاطين دولة المماليك على التلقب بها، إذ يعني هذا اللقب خدمة السلطان للحرمين في مكة والمدينة ورعايتهما[٦٧]، وما يتعلق بهما من أعمال مرتبطة بخدمة الحجيج سواء من ناحية تعبيد طرق الحج وتأمينها، أو تزويدها بالآبار والاستراحات، وما تحتاج إليه من عماره بالإضافة إلي تجديد الكسوة الشريفة للكعبة.

ولقب (خادم الحرمين) من الألقاب التي وردت في المكاتبات إذ كان يعبر به صاحب الكتاب عن نفسه، وهو بهذا يبين الصلة بين المكتوب عنه والمكتوب إليه، ويسمى في مصطلح الكتاب (الترجمة) وكان استعمال (الخادم) يغلب في الترجمة إذا كانت مرسلة عن أحد الملوك إلى ديوان الخلافة[٦٨].

ومن الجدير بالذكر أن لقب خادم الحرمين الشريفين لم يكن السلطان برسباي هو أول من تلقب به، فقد أطلق هذا اللقب على صلاح الدين الأيوبي فى نص تعمير بتاريخ ٥٨٧هـ بقبة يوسف ببيت المقدس[٦٩]. فقد كانت السيادة على الحرمين تعتبر رمزاً لشمول النفوذ على العالم الإسلامي كله، وكانت الكعبة هي قبلة المسلمين في صلاتهم ومهوى أفئدتهم، ووجهة حجهم، ومنذ أواخر القرن السادس الهجري كانت السيادة علي الحرمين موضع نزاع بين الأيوبيين في مصر وبني رسول في اليمن، ولا شك ان انصراف صلاح الدين إلى إجلاء الصليبين عن الشام وانتزاعه بيت المقدس من بين براثنهم، كل ذلك أمده بقوة دينية وسياسية، وأضفى إليه قوة إسلامية لم يستطع أن ينازعه فيها أحد[٧٠].

كما تلقب بهذا اللقب السلطان بيبرس البندقداري، إذ توافق هذا اللقب مع السياسة التي صارت عليها مصر تحت حكم الأيوبيين، ولعل بيبرس قد استمد حقه فى السيادة على الحجاز من أنه قد أصبح يؤوي الخليفة العباسي الذي لابد وأن يزعن لطاعته أشراف مكة، وقد حرص خلفاء بيبرس على المحافظة على هذا الحق وإقراره[٧١]، ومنهم السلطان المنصور قلاوون[٧٢]، الذي استعمل سلطته حتى حلف له الشريف، أبو نمي أمير مكة بالطاعة له ولوالده فى شعبان سنة ٦٨١هـ، وتعهد بما يتبع ذلك من إفراد الخطبة

---

[٦٦]- انظر ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، صـ١٠٩.

[٦٧]- الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٢٦٧.

[٦٨]- الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٢٦٦.

[٦٩]- الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٢٦٨.

[٧٠]- الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٢٦٨.

[٧١] الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٢٦٨.

[72] -Berchem (M.V.), Matirioux Pur un corpus inscriptionun Arabicorum ,p.121

المنارة للاستشارات
www.

والسكة باسمه، وهو ما فعله من بعده السلطان الناصر محمد بن قلاوون، والسلطان برقوق، والسلطان المؤيد شيخ.

أجمعت المصادر التاريخية المعاصرة للسلطان برسباي على أن لقب خادم الحرمين الشريفين الذي لقب به السلطان برسباي لم يكن لقباً فخرياً توارثه عن من سبقه من السلاطين ولكن كان بفضل دوره البارز في الاهتمام بعمارة الحرمين وشؤون الحج والمحمل، وما استحدثه .

وقد وردت مجموعة من المرادفات لهذا اللقب والتي تشير إلى سيادة سلاطين المماليك على الأقطار الحجازية والتي منها: (خادم حرمي الله ورسوله) والذي تلقب به الأشرف قايتباي في نقش بتاريخ سنة٨٨٥هـ فى وكالته بباب النصر، كما ورد بصيغة (ملك الجهات الحجازية) الذي أُطلق على السلطان قلاوون فى نقش بتاريخ سنة ٦٨٧هـ فى مدرسة السلطان الملك الأشرف خليل، ولقب (صاحب الأقطار الحجازية) الذي أُطلق على السلطان الملك الأشرف شعبان فى نص إنشاء مدرسته بتاريخ سنة٧٧٠هـ، كما أُطلق على السلطان الأشرف برسباي فى نقش بضريحه، مؤرخ بسنة ٨٣٥هـ، كما تلقب به أيضا السلطان إينال في نص إنشاء مدرسته المؤرخ بسنة ٨٦٠هـ، وتلقب به طومان باي في نص تجديد مؤرخ بشهر رمضان سنة٩٠٦هـ بقلعة الجبل بالقاهرة[٧٣].

السلطان: من الألقاب الواردة بالنقش موضوع الدراسة أيضاً، وهو لقب أُطلق على الوالي، وورد في القرآن الكريم بمعني الحجة والبرهان، ويطلق على عظماء الدولة، وقد استعمل لأول مرة فى عهد هارون الرشيد، وكان آنذاك نعتاً فخرياً خاصا، انقطع التلقيب به بعد ذلك حتى القرن الرابع الهجري، وفي الغالب أنه فى عهد السلاجقة أخذ لقب السلطان يتحدد بمدلوله على أنه حاكم أعظم. وقد ورث المماليك عن الأيوبيين لقب (سلطان) خصوصا وأن المماليك قد أطلقوا على أنفسهم ولاية اسمية على سائر أنحاء العالم الإسلامي، وأصبح هذا اللقب العام على الحاكم الأعلى في عصر المماليك، ولأهمية هذا اللقب غالبا ما كان تفتتح به سلسلة ألقابهم[٧٤].

(العبد الفقير إلي الله تعالى):

هو من ألقاب التواضع والتذلل إلى الله تعالى؛ ويرى البعض انه لم يكن يأتي في النقوش المملوكية ضمن ألقاب سلطان قائم[٧٥]، ووجوده ضمن نقش السلطان برسباي موضوع الدراسة إلى جانب كونه نموذجا مميزاً وفريدا في النقوش المملوكية التي كتبت في حياة سلطان، فإنه يمكن تفسيره على أنه إمعان منه على التذلل إلى الله تعالى.

(الملك):

---

[٧٣]- الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٢٦٩-٢٧٠,

[٧٤]- للاستزادة عن هذا اللقب انظر: الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٣٢٣-١٣٩,

[٧٥]- الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٣٩٣، ٤٢٤.

المنارة للاستشارات
www.

هو لقب كان يطلق على الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية، وهو من الألقاب التي كانت معروفة فى النقوش العربية القديمة.[٧٦] .

الخاتمة والنتائج:

تناولت هذه الدراسة جهود السلطان الأشرف برسباي فى تعمير المسجد الحرام فى ضوء نقش مؤرخ بسنة ٨٢٦هـ/١٤٢٣م محفوظ بالكعبة المشرفة. وأوضحت الدراسة أن برسباي من أكثر سلاطين الدولة المملوكية الذين اهتموا بمدينة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة بها. كما تناولت الدراسة النقش الخاص بالسلطان برسباي والمحفوظ داخل الكعبة المشرفة، وأسلوب الخط والكتابة المتبع فى كتابته، والأسلوب الفني للنقش وما تضمنه من ألقاب ومضامين دينية وسياسية، ومدى علاقتها بالسياق العام المعاصر لتاريخ النقش سواء داخل مكة المكرمة، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

-أوضحت الدراسة أن السلطان الأشرف برسباي كان من أكثر سلاطين الدولة المملوكية اهتماما بتعمير المسجد الحرام والكعبة المشرفة.

- أكدت الدراسة أن اهتمام برسباي لم يقف عند حد البناء والتعمير بمكة المكرمة فحسب، بل رعايته للمنشآت الدينية السابقة لعهده فأنشأ لها مجلساً من القضاة ليرعى شؤونها ويحفظ أوقافها ومراقبه النظار المباشرين لخدمتها.

- أثبتت الدراسة أن اقتصار تسجيل السلطان برسباي لأعماله على سنة واحدة فقط هي عام ٨٢٦هـ نظرا لجسامة هذه الأعمال وخطورتها وتداعياتها علي عماره الحرم المكي.

-أكدت الدراسة على أهمية النقوش الأثرية بوصفها وثيقة مؤكده بالنسبة إلى صاحبها، ومؤكدة للحدث التاريخي، ونوعية ومضمون الأعمال التي وردت فى النقش.

- أوضحت الدراسة تأثر الصيغ الواردة بنقش السلطان برسباي والمؤرخ في ٨٢٦هـ على صيغ النقوش التأسيسية اللاحقة عليه والمحفوظة أيضا بداخل الكعبة.

- بينت الدراسة مدى توفيق الخطاط فى إيجاد علاقة وتوافق بين الألقاب الواردة بنقش برسباي، موضوع الدراسة، وبين ما قام به السلطان برسباي فى الواقع، ولاسيما تلك الألقاب الخاصة بخدمة الحرمين الشريفين.

-أوضحت الدراسة حرص النقاش على إخراج النقش الخاص بأعمال التعمير التي قام بها السلطان برسباي بالمسجد الحرام والكعبة المشرفة بشكل بسيط من حيث العناصر الزخرفية، بما يتناسب مع الصيغ اللفظية الواردة بالنقش، والتي تشير إلى خضوع السلطان وتواضعه، ورغبته فى التقرب إلى الله.

[٧٦]- للاستزادة عن هذا اللقب انظر: الباشا، الألقاب الإسلامية، صـ٤٩٦-٥٠٦.

المنارة للاستشارات
www.

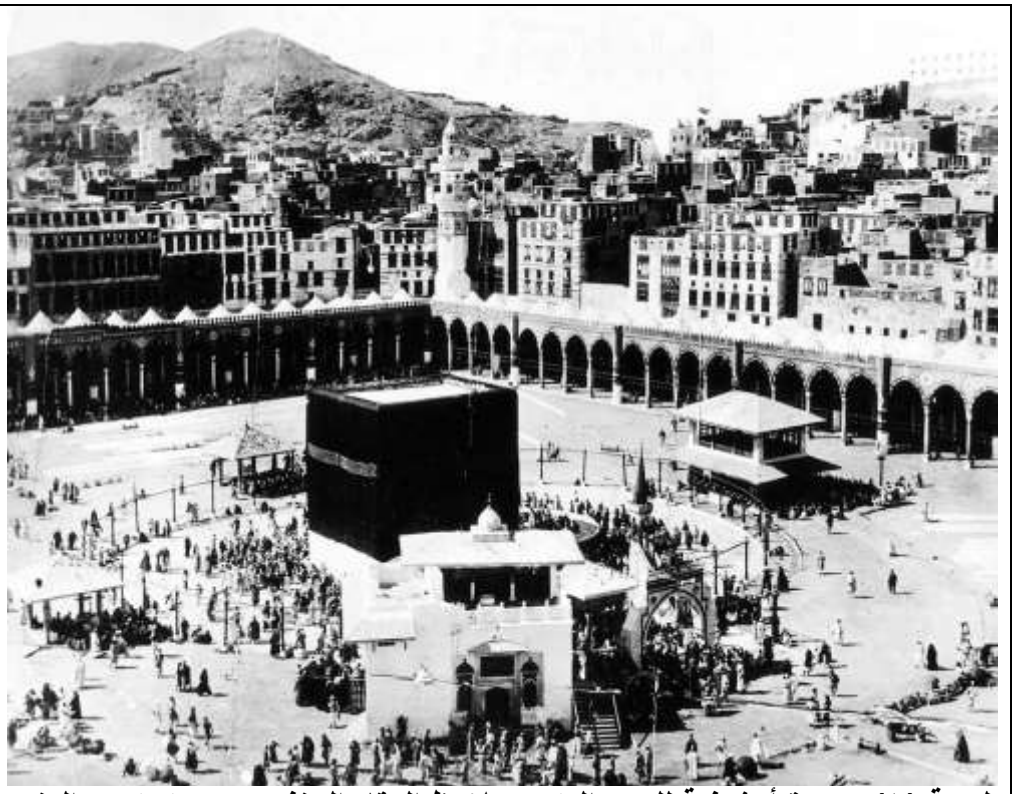

لوحة (١) صورة أرشيفية للحرم المكي ويلاحظ المقام الحنفي، وبئر زمزم، والمنبر.
Richard Yeomans, the art and architecture of Islamic Cairo, garnet publishing, 2006, p.18.

المنارة للاستشارات
www.

لوحة (٢) نقش السلطان الأشرف برسباي المؤرخ بسنة٨٢٦هـ/١٤٢٣م، والمحفوظ داخل الكعبة المشرفة.

المنارة للاستشارات
www.

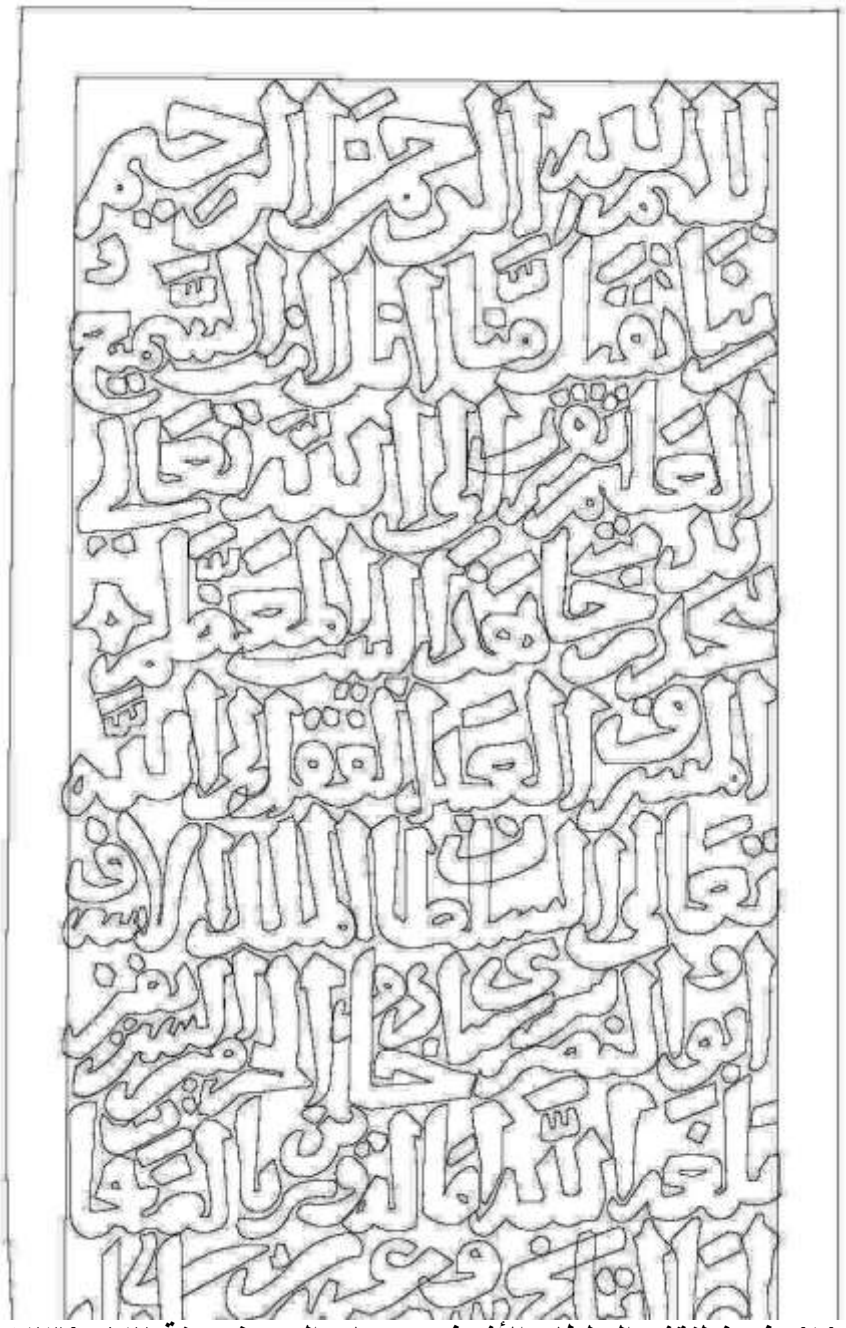

شكل (١) تفريغ لنقش السلطان الأشرف برسباي المؤرخ بسنة٨٢٦هـ/١٤٢٣م، المحفوظ بالكعبة المشرفة. (عمل الباحث)

المنارة للاستشارات
www.

الحرف	المبتدئة	المتوسطة	المختتمة
ا	ا	ا	ا
ب	ب	ب	ب
ت	ت	ت	ت
ث	ث	ث	ث
ج	ج	ج	ج
ح	ح	ح	ح
خ	خ	خ	خ
د	د	د	د
ذ	ذ	ذ	ذ
ر	ر	ر	ر
ز	ز	ز	ز
س	س	س	س
ش	ش	ش	ش
ص	ص	ص	ص
ض	ض	ض	ض
ط	ط	ط	ط
ظ	ظ	ظ	ظ
ع	ع	ع	ع
غ	غ	غ	غ
ف	ف	ف	ف
ق	ق	ق	ق
ك	ك	ك	ك
ل	ل	ل	ل
م	م	م	م
ن	ن	ن	ن
ه	ه	ه	ه
و	و	و	و
ى	ى	ى	ى

شكل ( ) جدول يوضح تحليل حروف نقش السلطان برسباي المؤرخ بسنة٨٢٦هـ/١٤٢٣م. (عمل الباحث)

المنارة للاستشارات
www.